

غطرسة أردوغان تعيد تركيا إلى سلوك الماضي المظلم

سلوكه وحشيا أكثر، حيث يعتمد على قاعدة من التطرف القومي والديني.

كان مهندسو آيا صوفيا من الوثنيين ومن أبناء المدرسة الأفلاطونية بالإسكندرية. وأتموا بناء الكنيسة العظيمة في أقل من ست سنوات وجرى افتتاحها في 27 ديسمبر 537. وفي 538، انهارت القبة وأعيد بناؤها. ومنذ ذلك الحين، شهدت أضرارا على مدى القرون. بُنيت آيا صوفيا قبل فترة طويلة من الانقسام بين المسيحية الشرقية والغربية (1054)، وكانت أكبر وأهم كاتدرائية في العالم المسيحي قبل أن تصبح رمزا للارثوذكسية. وأذكر هذا التاريخ لأشير إلى طبيعة الكنيسة "متعددة الثقافات"، وأهميتها لكل المسيحية، وحقائقها أنها شهدت الكثير حتى قبل سقوط القسطنطينية في 1453 وتحويلها إلى مسجد.

نيكوس كونستانداراس
كاتب يوناني

أمر الإمبراطور البيزنطي جستنيان الأول ببناء آيا صوفيا سنة 537 للميلاد، ثم افتتحها محمد الثاني في غزواته سنة 1453 م، وحولها إلى مسجد ومنع استخدامها لأغراض أخرى، ثم حولها أتاتورك إلى متحف سنة 1934م، وعبأ أردوغان المحكمة بالموالين له، مما سَرَعَ تحويلها إلى مسجد، وهو يعتبر نفسه الفاتح.

عندما يبقى موقع تاريخي شامخا لأكثر من 1500 سنة، يصبح رمزا لكل البشر. ويجب أن نذكر أن سياسة الرئيس التركي رجب طيب أردوغان تتجاوز مجرد إبقاء بضممة في تاريخ آيا صوفيا. لكنه سيقتل علامة فارقة في تراجع تركيا المتسارع عن القرن الحادي والعشرين.

لم يكن قرار المحكمة التركية بإلغاء تحويل أتاتورك لآيا صوفيا من مسجد إلى متحف مفاجأة. وكانت السرعة التي وقع بها أردوغان الأمر لتحويل شؤون المعلم إلى رئاسة الشؤون الدينية التركية متوقعة. ومع ذلك، وعلى الرغم من اليقين من أن الرئيس التركي سيحاول حشد مؤيديه بهذه الطريقة وإهانة المسيحيين في كل مكان، وخاصة في اليونان، أعترف أنني فوجئت بالحزن والغضب الذي أثاره القرار في نفسي. لا تنبع هذه المشاعر من حقيقة أنني يوناني ومسيحي فقط، على الرغم من أن هذا يلعب دورا بالتحديد.

ما أجده غير معقول هو إصرار رجل واحد على الاستمرار في انتهاك الحدود والقواعد والقوانين والاتفاقيات والحقوق، ثم تصعيد ذلك عن طريق الدوس على السلوكيات المتحيزة، وإزعاج منطقة بأكملها، ودفع شعبه إلى الورا.

انتقلت العدوى إلى إثيوبيا ولجات إلى الاستفزاز أيضا في أزمتها مع مصر بشأن سد النهضة، حيث دشنت قاموسا لا يختلف كثيرا عن نظيره التركي والقطري والإخواني في استهداف الدولة المصرية، وخرجت معرفتها من خندق المياد إلى خنادق أخرى تتعلق بالتاريخ والجغرافيا والسكان والاستراتيجيات الإقليمية، بغرض تقطيع أوصال القضية الأصلية وذوبانها في حقول متفرعة عديدة عن الجوهر الذي يتم التفاوض عليه، وتشغل العالم بتفاصيل عديدة بغرض التشويش.

بصفتي تشابه الخطاب بين تركيا وإثيوبيا وقطر والإخوان في التعامل مع مصر داخل بوتقة واحدة، عنوانها العريض تسخير الدعاية السلبية باكبر درجة ممكنة، وهي معروفة منذ زمن طويل، فالحرب النفسية أحد الأدوات المستخدمة في المعارك، وزادت أهميتها مع انتشار مواقع التواصل الاجتماعي وتضاعف قدرتها التدميرية.

ارتفع معدل هذا النوع من الحروب في المعارك الجارية مع مصر، لأن الأطراف المقابلة تجسد توظيفها، بينما لا تزال القاهرة غير قادرة على مجاراة هذا النمط بشكل كبير لأن دعايتها تسير بطريقة عكسية، فهي لا توجه سهامها الإعلامية دوما للخصوم وتكشف الأعيابهم وتفرغ خصامهم من محتوياته السلبية، وتفرض أسلوبها الذي يظهر محاسن القيادة السياسية في الدولة.

يظل المضمون المصري غير عابئ كثيرا بما توجهه تركيا وأعدائها من حملات استفزازية، على الرغم من خطورتها، كان القاهرة غير راغبة في الانزلاق إلى هذا المربع الرديء، وواقعة أن ما تمتلكه من أدوات عملية يستطيع دحر خصومها في النهاية، لأنها اختبرت دعاية جماعة الإخوان والجزيرة السوداء فترة طويلة، ولم يتمكن من النيل منها في أي من المحطات التي بشرت بها، الأمر الذي أسهم في تعامل مصر بهدوء مع من يستهدفونها، وطالما أن السياسي يتبع الدعاوي وليس العكس فلا مشكلة.

الخطاب الدعائي الاستفزازي يسبق السياسي لدى خصوم مصر

التخطيط لجعل القاهرة تكتفي بمهمة الدفاع عن النفس



الإعلام المصري مرتبك في مواجهة معارك الخارج

كسلاح يدغدغ مشاعر أتباعها ويراكم الضغوط على مصر. تمتلك تركيا دائرة إعلامية بها عدد كبير ممن يعبرون عن سياساتها ويستخدمون الخطاب ذاته، يكتب أحدهم، وهو مذيع في قناة الجزيرة القطرية، تدوينات على تويتر لا يقلها عاقل حول مصر، ودرج على تصوير البلاد على أنها تعيش فوق فوهة بركان، بينما لم يظهر تماسك المواطنين خلف قيادتهم كما هو الآن، ما يعني أن الغرض من هذه الحملات تشكيك هؤلاء في مستقبل بلدهم الذي يواجه تحديات مصيرية من الغرب والجنوب، فضلا عن فتح المجال لتمدد تركيا.

انتقلت العدوى إلى إثيوبيا ولجات إلى الاستفزاز أيضا في أزمتها مع مصر بشأن سد النهضة، حيث دشنت قاموسا لا يختلف كثيرا عن نظيره التركي والقطري والإخواني في استهداف الدولة المصرية، وخرجت معرفتها من خندق المياد إلى خنادق أخرى تتعلق بالتاريخ والجغرافيا والسكان والاستراتيجيات الإقليمية، بغرض تقطيع أوصال القضية الأصلية وذوبانها في حقول متفرعة عديدة عن الجوهر الذي يتم التفاوض عليه، وتشغل العالم بتفاصيل عديدة بغرض التشويش.

بصفتي تشابه الخطاب بين تركيا وإثيوبيا وقطر والإخوان في التعامل مع مصر داخل بوتقة واحدة، عنوانها العريض تسخير الدعاية السلبية باكبر درجة ممكنة، وهي معروفة منذ زمن طويل، فالحرب النفسية أحد الأدوات المستخدمة في المعارك، وزادت أهميتها مع انتشار مواقع التواصل الاجتماعي وتضاعف قدرتها التدميرية.

ارتفع معدل هذا النوع من الحروب في المعارك الجارية مع مصر، لأن الأطراف المقابلة تجسد توظيفها، بينما لا تزال القاهرة غير قادرة على مجاراة هذا النمط بشكل كبير لأن دعايتها تسير بطريقة عكسية، فهي لا توجه سهامها الإعلامية دوما للخصوم وتكشف الأعيابهم وتفرغ خصامهم من محتوياته السلبية، وتفرض أسلوبها الذي يظهر محاسن القيادة السياسية في الدولة.

يظل المضمون المصري غير عابئ كثيرا بما توجهه تركيا وأعدائها من حملات استفزازية، على الرغم من خطورتها، كان القاهرة غير راغبة في الانزلاق إلى هذا المربع الرديء، وواقعة أن ما تمتلكه من أدوات عملية يستطيع دحر خصومها في النهاية، لأنها اختبرت دعاية جماعة الإخوان والجزيرة السوداء فترة طويلة، ولم يتمكن من النيل منها في أي من المحطات التي بشرت بها، الأمر الذي أسهم في تعامل مصر بهدوء مع من يستهدفونها، وطالما أن السياسي يتبع الدعاوي وليس العكس فلا مشكلة.

وحليفهم تركيا تعميم هذا الخطاب الساذج في مواجهة الخطاب المصري الذي يستند على قوى موجودة فعلا على الأرض، تمثل شريحة كبيرة في المجتمع الليبي. لعل تصريحات رئيس مجلس الدولة خالد المشري ومندوب حكومة الوفاق في الأمم المتحدة طاهر السنني تكشف عن حجم البؤس السياسي لدى خصوم مصر، حيث دأب الهجوم على مصر في كل موقف تقاطع فيه من قريب أو بعيد، وتكاد تنحصر مهمتهما في هذا الدور، فالأول يعتقد أن صوته مسموع في الداخل أبعد من جماعته الإخوانية، والثاني يتصور أن هناك من يتجاوب معه في المجتمع الدولي.

يوجه المشري خطابته المؤدلج إلى الجمهور الحالم من الإسلاميين الذي يطرب لتصريحات في ظاهرها خشونة، كي تعوضه عن النقص في القوة الحقيقية، والفجوات التي تعتمل داخل جهات مناقضة تمثله، وتتم التغطية على ذلك باللجوء إلى استدعاء قاموس جوزيف غوبلز في عهد النازية الذي لجأ إلى الدعاية لمواجهة خصومها.

موروث سياسي

من الصعوبة وجود خطاب رصين لدى هؤلاء، وكل ما يتم تسويقه يعتمد على العواطف والهجوم والانتقادات وكيل الاتهامات، وبدأت تركيا تستدعي خطابا تاريخيا تتجاوز الزمن لتبرير أحيائها في ليبيا بدلا من مصر، وكررت نغمة أن علاقاتها تمتد لنحو خمسة قرون، ولن تترك الإنشاء وحدهم، أي عاقل يقبل هذه المزاعم؟

يدعو أن أنقرة عاجزة عن تبرير تدخلاتها في ليبيا فوجدت ملاذها في العودة إلى الماضي السحيق الذي يدينها لما ارتكبه الدولة العثمانية من جرائم في حق ليبيا وغيرها، كما أن فتح هذا الباب على مصراعيه يغير خرائط وينهي دولا كثيرة في المنطقة، ولم يعد مطروحا إلا عند أصحاب الأحلام والطموحات الجامحة.

تعلم تركيا ومن ارتضوا العمل معها أن هذا التوجه فارغ من الجوانب السياسية المتينة، ولن يقنع طغلا، لكنه الاستفزاز الذي أصبح سلاحا مهما في أزمات ليبيا وشرق البحر المتوسط، وفي غالبية العلاقات الإقليمية التي لا ترضى عنها أنقرة.

هي لا تريد الدخول في صدام عسكري مباشر مع القاهرة في أي من بؤر الأزمات المشتركة، لذلك تلجأ إلى الدخول في تراشقات ومناوشات وتجانبات معنوية قد تقود إلى انعكاسات مادية، وهو ما دفعها إلى رفع مستوى الخطاب الدعائي،

القاهرة في مرمى استراتيجية إقليمية معادية لها تقوم على تركيز هجوم إعلامي استفزازي يطال رموز البلاد، وتشترك في ذلك تركيا وقطر وجماعة الإخوان المسلمين وإثيوبيا. وفيما يضغط هؤلاء باستمرار على مصر لعرقلتها نفوذها الإقليمي تبدو إمكانيات القاهرة محدودة في مواجهة هذه الموجة بسبب ارتباك أداء الإعلام المصري الذي يركز على الداخل من خلال مديح السلطة بدل خوض معاركها الخارجية.

استعانة الليبيين بجيش مصر خيانة، كان الاستعانة بتركيا مروءة.

يريد هؤلاء وضع مصر دوما في حالة الدفاع عن النفس، وتجريدها من المبادرة، واستغلال التريث الذي تبديه في التعامل مع ليبيا لصالحهم، ومحاولة توجيه الأضواء على سد النهضة كازمة وجوبية، بينما الغرض تخفيف الضغوط على الساحة الليبية.

ينتشر القاموس الدعائي مع كل تحرك تقوم به القاهرة حيال ليبيا، ومع كل موقف تؤكد فيه انحيازها لوحدة الدولة وأهمية وجود قيادة عسكرية مركزية تنهي سيطرة الميليشيات، وتوقف التدخلات التركية السافرة.

يستخدم الخطاب الاستفزازي صياغات مبتورة ومعاني خالية من المحتوى الجاد والمنطقي، ما يشي بان الصياغة الدعائية تهدف إلى تضخيم دور هذا الفريق وأنصاره ونسج خيالات يتم التعامل معها على أنها واقع حقيقي، حيث يؤدي تربيدها من خلال منصات معدة لهذا الغرض أصلا إلى إيجاد صورة ذهنية محاكية لها لمجرد أنها تستخدم عبارات توحي بعدم الضعف، حتى لو كانت فارغة من المضامين السليمة.

إثيوبيا لجأت إلى الاستفزاز في أزمتها مع مصر ودشنت قاموسا لا يختلف كثيرا عن نظيره التركي والقطري والإخواني لاستهدافها

انظر إلى كلام المتحدث باسم القوات المسلحة التابعة لحكومة الوفاق، محمد قنونو، الجمعة، عقب استقبال مصر لوفد كبير من القبائل الليبية، عما وصفه بـ "العواصم المتنامية"، حيث قال "مدنعاتكم صارت رمادا وسنعيد أبناءكم في توابيت.. ما سلم منها صارت في قبضتنا وسنحفظها في متحف الحرب"، هل لدى الصياغات المسلحة قدرة لتحقيق هذا الهدف، وهل تضمن حكومة الوفاق التي يمثلها قنونو البقاء في المستقبل كي تقدم متحفا للحرب في ليبيا، وهل لديها قوة موحدة أساسا؟

يريد قنونو وأمثاله في حكومة الوفاق والمجلس الرئاسي ووزارة الداخلية



محمد أبو الفضل
كاتب مصري

أصبحت المفردات الدعائية الاستفزازية سمة في الخطاب الذي تتبناه تركيا وقطر وجماعة الإخوان في الأزمة الليبية تجاه خصومهم الرئيسيين، الجيش الوطني بقيادة المشير خليفة حفتر، وكل من مصر والإمارات وفرنسا، وروسيا أحيانا، ونالت القاهرة النصيب الأكبر لأن خصومتها مع هؤلاء مباشرة بحكم الجوار مع ليبيا.

لم يعد هذا الاتجاه قاصرا على مواقع التواصل الاجتماعي المنقطة، ووسائل الإعلام التي تنتهج خطأ دعائيا لمصر، بل غلب على تصريحات الكثير من المسؤولين، فلا نجد مسؤولا كبيرا أو صغيرا في تركيا، أو يعمل ضمن حكومة الوفاق في طرابلس، ويدلي بدلوه في الأزمة الليبية إلا ويحشر مصر، ويتفوه بكل ما هو سلبي عنها، في مطابحة كبيرة للمصطلحات التي تروج لها جماعة الإخوان، والتي تكررها قناة الجزيرة بلا ملل.

لا أعلم أيًا من الجانبين السياسي أم الإعلامي أثر على الآخر ونقل قاموسه إليه، لكن المؤكد أن هناك تكاملا وانسجاما بينهما، وفقا لخطة ترمي لممارسة أقصى ضغوط نفسية ممكنة على مصر، وتتعهد صياغة منظومة محكمة تضخم من الدور التركي وأهميته في ليبيا، وتقلل من الدور المصري وتجاوز حيويته وعاقبته الراهنة، من حيث القوة والمشروعية وحجم التأييد الشعبي والقدرة على التأثير المادي والمعنوي.

صياغات مبتورة

أعدت جماعة الإخوان بالتنسيق مع تركيا وقطر مؤخرا مكونات خطاب يستهدف مصر وحلفائها، يقوم على وضع ملف الحريات وحقوق الإنسان في الواجهة، والتركيز على استهداف القيادات الكبيرة ومتابعة تصريحاتها بتعليقات ساخرة، وتحييض الدول الغربية على نزيعة إنقاذ الديمقراطية المغدورة في ليبيا، لصرف الأنظار بعيدا عن الإرهابيين ومن يقدمون الدعم السخي إليهم، ناهيك عن القول بأن



أردوغان يلعب على حبال الأيديولوجيا